الفن أشكال من أشكال التعبير

محاولة عن كيفية نشأة الفن وتاريخه:

ولكن لماذا نشأ الفن أول ما نشأ؟ يقول موريس بلوم فيلد، في بحثه عن ألغاز البراهمانية ألقاه في مؤتمر الفن والعلم عام 1904 « إن الفن نشأ منذ قديم الزمان حينما كان العقل البدائي يمزج نفسه كل التلاحم مع الكون الذي يحيط به. ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نضاجا، ازدادت الرغبة في إدراك الجواهر الطبيعية وظواهر الحياة، وإدراك القوانين التي تحيط بالإنسان. ومن ثم فإن الأطفال يحبون الألغاز ومثلهم البدائيون. ولهذا كذلك فإننا نجد أنواع الأدبية الشعبية مثل الأسطورة والحكاية الشعبية والحكاية الخرافية تتضمن الألغاز، فالفن يشير إلى غموض الحياة، وهو في الوقت نفسه يمثل إدراك العقل البكر »①

ويقول ليلة إبراهيم: « حقا إن تعليل بلوم فيلد لنشأة الفن مقبول، ولكنه تعليل شامل يذهب على نشأة كل الأشكال الأدبية الشعبية، ولا يقتصر على الفن وحده. هذا فضلا عن أنه لم يوضح لنا سبب نشأة الفن في صورة سؤال معين وجواب محدد. وإذا كان هدفنا الوصول إلى تفسير مقنع لذلك، فلا بد من

① Standart Dictionary of folklore, Mythology and legend, vol II, p 839

ليلة إبراهيم، أشكال التعبير الشعبي، دار النهضة

Scanné avec CamScanner

الرجوع بالتراث الشعبي إلى الوراء، حينما كان اللغز يلعب دورا مهما في حياة البدائيين لا يقل عن دور الطقوس. وفي هذا يستشهد فريزر في بحثه الخالد «الغصن الذهبي»[1] فهو يذكر أنه من عادة قبيلة من قبائل البانتو أن ترقص النساء عراة في الحقول لاستدرار المطر، وهن يغنين: اسقطي أيتها الأمطار. فإذا اقترب شخص من المكان ضربته النساء وطردن عليه الأغنام ليحلبها[2].

كما يحكى في مكان آخر أن بعض قبائل الهند الصينية تجتمع قبل موسم حصاد الأرز، ويطرح بعض الأفراد الألغاز ليحلها. وعند حل كل لغز يصيح الجميع دعوا أرزنا ينمو في الجبال والسهول[3] على أنه يمتنع طرح الألغاز للحل في الفترة بين انتهاء موسم الحصاد وميعاد الزرع الثاني.

ويعلق فريزر على ذلك بأنه هذه العبارات كانت تعد اللغز لسبب من الأسباب بمثابة تعويذة يعود من ورائها الخير.

فسقوط الأمطار ونمو النبات والحصاد والإخصاب والزواج والدين، كلها مناسبات كانت تطرح فيها الألغاز. ولا بد أن الشعوب كانت تتساءل: هل سيعقب المطر المبارك فينمو الزرع، أم هل سيحدث جدب ومجاعة وهل يسخن الروح الشرير الولد وقت خيانته فيفسد الحج ويصاب الولد بضرر، أم يلتئم جرحه ويزول

(1) ترجمة إبراهيم، المرجع السابق، ص 100.
(2) James Frazer: the Golden Bough, Vol, III p154
(3) ~~Ibid p 194 standard dictionary of Folklore p 496.~~ Ibid p 194

Scanné avec CamScanner

في مرحلة الخطوبة؟ وهل ينجح الزوجان في حياتهما الزوجية وينجبان الأطفال ويعيش معهما الروح الخير، أم أن الروح الشرير سيعيش بينهما فتفسد حياتهما الزوجية؟ كل هذه الأمور كانت الإنسان البدائي يتساءل عنها. وربما كان الفن في هذه الحالة مشاركا لشعورهم من حيث إنه يشترك مع هذه المناسبات في ظاهرة الغموض، فإذا توصل السامع لحل ألغاز، فإن هذا الحل سيكون يكون ممتلكا لقدر من السحر سأله أن يؤثر في القوى المجهولة التي تتحكم في حل المشكلات الغامضة.①

وإلى رجعنا إلى التراث الشعبي، فالألغاز التي طرحتها بلقيس ملكة سبأ على النبي سليمان لكي تختبر ذكاءه. فقد اشتهر النبي سليمان بذكائه وحكمته ووصل ذلك إلى علم الملكة بلقيس، ولكنها لم تكتف بسماع هذه الأخبار، وإنما أرادت أن تختبر ذكاء الملك بنفسها فرحلت إليه وطرحت أمامه عدة ألغاز أوردها فريزر في كتابه «المناهل الفلكلورية في العهد القديم». لقد سألته: «ما معنى أن سبعة وحدوا محزما وتسعة وحدوا هدهلك، وإثنين انسلب منهما مجرى وواحدا سرب من هذا المجرى؟» فأجاب سليمان: «أما السبعة فهم سبعة أيام

نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص 156.①

Scanné avec CamScanner

أيام العيد، وأما التسعة فهي تسع شهور الحمل، وأما الاثنتان فهما التثنيان، وأما الواحد فهو الطفل.»
فسألته مرّة أخرى عن الأرض التي لم تر الشمس سوى مرّة واحدة فأجابها: «إنها الأرض التي انفجرت منها المياه بعد الطوفان، وهي الأرض التي انحسرت عنها مياه البحر الأحمر ذات يوم حينما انشطر إلى شطرين ثمّ عاد بعد ذلك إلى حالته الأولى. ثم سألته: «ما هو الشيء الذي لا يسير حينما يكون حيّا، حتى إذا مات تحرّك؟» فأجاب: «إنه السمك الذي لا تسير وهي حيّة. فإذا قطعت وصنعت منها السفينة تحرّكت السفينة في عرض البحر.»

ولم تكتفِ بلقيس بذلك، ولعلها عرضته على النبي سليمان مشكلة في شكل لغز وطلبت منه أن يحلّها. فقد أحضرت أمامه مجموعة من الرجال والنساء متنكّرين في هيئة واحدة وفي زيّ واحد، وطلبت منه أن يميّز بين النساء والرجال. فأمر الملك سليمان عبيده أن يحضروا الجوز الهندي ويطرحوها أمام الجميع. ثمّ طلب من خليط الرجال والنساء أن يمدّوا أيديهم ليتناولوا من هذا الطعام. فمدّ الرجال أيديهم ~~ليتطلوا من هذا~~ الطعام دون أن يستحيوا من ظهور أذكرهم، في حين أنّ النساء كنّ يحاولن إخفاء أذرعتهن. وعند ذاك ميّز سليمان بين الرجال والنساء. وهنا امتلأت بلقيس إعجاباً من الملك سليمان وقالت له: «إنك تفوق في الحكمة والنبوة أضعاف ما كنت أسمعه عنك.»

أدهم نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص 157، 158.

[illegible] السائل يعرف جواب الغير، فلا
[illegible]
[illegible] الواقع وراء ذلك الغير هو
اختبار نفسه ما هي درجة معرفته، وليست هو الوصول
إلى معرفة الغير فحسب، ذلك أن السائل يعرف جواباً
ما، إجابة افتراضية... عما يهمنا أن نعمل الباحث على إثارة
الغير فنقول إن السائل يعمل هو عالم نفسه بعلمه
بعضه عن طريق المعرفة والحكمة. أما الشخص
المسؤول فهو عالج عن نفسه هذه المعاناة. والغير
في هذه الحالة يمثل دور لحظة السر التي يسمح
عن طريقها التقاطها بالتمرن في صنع مفلت.

ونقول أيضاً أن الغير ترد مفرداً، كما يرد في
كتابنا المحاكيات المراهنة والشعبية والأسطورة، وفي
الملاهي والسير الشعبية.

سيكولوجيا الإبداع، المرجع السابق، ص 168

Scanné avec CamScanner